# تنهر القرآن

الحلقة 14

## أرسله الله برسالته إلى أهل نينوى في العراق

# استغفار يونس عليه السلام.. أنقذه من الظلمات وأخرجه من بطن الحوت آمناً

### نبذة

سيدنا يونس ابن متي أحد انبياء الله تعالي ينتهي نسبه الي بنيامين شقيق سيدنا يوسف وصولا الي خليل الله إبراهيم عليهم جيعا السلام ارسله الله برسالته إلي أهل نينوي في العراق والمعروفة حاليا بالموصل وهم قوم شاع بينهم الشرك فكانوا يعبدون الأصنام، فأوحى إليهم الله نبيه يونس لإرشادهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، إلا أنّهم كذّبوه، وكفروا برسالته، وأصرّوا على عبادة أصنامهم وأوثانهم.

لكن أهل نينوي أبوا واستكبروا فتركهم وتوعدهم بالعذاب بعد ثلاث ليال فخشوا على أنفسهم فآمنوا فرفع الله عنهم العذاب، أما يونس فخرج في سفينة وكانوا على وشك الغرق فاقترعوا لكي يحددوا من سيلقى من الرجال فوقع ثلاثا على يونس فرمى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وأوحى الله إليه أن لا يأكله فدعا يونس ربه أن يخرجه من الظلمات فاستجاب الله له وبعثه إلى مائة ألف أو يزيدون.

### سيرته

كان يونس بن متى نبيا كريما أرسله الله إلى قومه فراح يعظهم، وينصحهم، ويرشدهم إلى الخير، ويذكرهم بيوم القيامة، ويخوفهم من النار، ويحببهم إلى الجنة، ويأمرهم بالمعروف، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده. وظل ذو النون –يونس عليه السلام– ينصح قومه فلم يؤمن منهم أحد.

وجاء يوم عليه فأحس باليأس من قومه، وامتلأ قلبه بالغضب عليهم لأنهم لا يؤمنون، وخرج غاضبا وقرر هجرهم ووعدهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام. ولا يذكر القرآن أين كان قوم يونس. ولكن المفهوم أنهم كانوا في بقعة قريبة من البحر.

وقال أهل التفسير: بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل (نينوى) من أرض الموصل، فقاده الغضب إلى شاطىء البحر حيث ركب سفينة مشحونة. ولم يكن الأمر الإلهي قد صدر له بأن يترك قومه أو ييأس منهم. فلما خرج من قريته، وتأكد أهل القرية من نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم وصرخوا وتضرعوا إلى الله عز وجل، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات. وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون. وقد آمنوا أجمعين. فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي استحقوه بتكذيبهم.

على الرغم من أن دعوة يونس –عليه السلام– لقومه استمرت ثلاثاً وثلاثين سنة، إلّا أنّه لم يؤمن معه سوى رجلين، ولذلك شعر يونس –عليه السلام– باليأس من قومه، فتركهم وخرج من بلدتهم. ظنا ان الله لن يحاسبه علي هذا الخروج لأنه استخدم كل الوسائل لدعوة قومه لله ، ولم يستجب أحد

### أمر السفينة

أما السفينة التي ركبها يونس، فقد هاج بها البحر، وارتفع من حولها الموج. وكان هذا علامة عند القوم بأن من بين الركاب راكباً مغضوباً عليه لأنه ارتكب خطيئة.

وأنه لا بد أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق، فاقترعوا على من يلقونه من السفينة، فخرج سهم يونس –وكان معروفاً عندهم بالصلاح– فأعادوا القرعة، فخرج سهمه ثانية، فأعادوها ثالثة، ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر –أو ألقى هو نفسه، فالتقمه الحوت لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بها، وترك قومه مغاضباً قبل أن يأذن الله له.

وأحى الله للحوت أن لا يخدش ليونس لحما ولا يكسر له عظما، واختلف المفسرون في مدة بقاء يونس في بطن الحوت، فمنهم من قال أن الحوت التقمه عند الضحى، وأخرجه عند العشاء. ومنهم من قال انه لبث في بطنه ثلاثة أيام، ومنهم من قال سبعة.

### يونس في بطن الحوت

عندما أحس بالضيق في بطن الحوت، في الظلمات –ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل– سبح الله واستغفره وذكر أنه كان من الظالمين. وقال: (لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، فسمع الله دعاءه واستجاب لهَ، فلفظهَ الحوت. (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون). وقد خرج من بطن الحوت سقيماً عارياً على الشاطىء.

وأنبت الله عليه شجرة القرع، قال بعض العلماء في إنبات القرع عليه حكَم جمة، منها أن ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نياً ومطبوخاً، وبقشره وببزره أيضاً.

وكان هذا من تدبير الله ولطفه. وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك. فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه الذين تركهم مغاضباً.

### كم لبث يونس في بطن الحوت

وعندما التقم الحوت سيدنا يونس –عليه السلام– في بطنه اعتقد نبي الله انه أنّه مات، لكنّه حرّك يديه، وساقيه، فتحرّك، فسجد لله –تعالى– شاكراً له بأن حفظه، ونجّاه، فلم تُكسر له يد، ولا رجل، ولم يصبه مكروه، وبقي في بطن الحوت ثلاثة أيّام، وسمع فيها أصواتاً غريبةً لم يفهمها، فأوحى الله –تعالى– له أنّها تسبيح مخلوقات البحر، فأقبل هو أيضاً يسبّح الله تعالى، قائلاً: «لا إله إلّا أنت، سُبحانك إنّي كنت من الظّالمين.»،

بعد شكر الله والسجود له وشكره علي نعمه من قبل نبي الله يونس أمر الله –تعالى– الحوت فقذف به على اليابسة، وأنبتت عليه شجرة يقطين؛ يستظلّ بها، ويأكل من ثمرها، حتى نجا من الوضع شديد الصعوبة الذي عاني منه بعد ان قذفه الحوت قي بيئة قاسية جدا

### فوائد شجرة اليقطين

فوائد شركة الياقطين لا تتوقف عند هذا الحد بل تمتد لكون شجرة اليقطين تعمل كمضادات للصداع ومعالج لعدد من الأمراض منها قصور القلب والتهاب المسالك والحروق والسعال والربو وهي حزمة من الأمراض كان يعاني من أغلبها سيدنا يونس بعد ان مكث في بطن الحوت ثلاثة أيام قبل أن يحل عليه لطف ربه ورحمته مصداقا لقوله تعالي « فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. «

وهنا علينا أن نضع فوائد شجرة اليقطين المتعددة في السياق الذي كان يعيش فيه سيدنا يونس بعد خروجه من بطن الحوت فقد كان مريضا مهموما مرهقا وهنا جاء لطف الله عبر انبات شجرة اليقطين فالشجرة تحتوي على مضادات حيوية طبيعية و خوافض للحرارة، و منشطات لوظائف الكلى والكبد ومهدئات للأعصاب

### فضل يونس

لقد وردت أحاديث كثيرة عن فضل يونس عليه السلام، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» وقوله عليه الصلاة والسلام: «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب».

### ذنب يونس

نريد الآن أن ننظر فيما يسميه العلماء ذنب يونس، هل ارتكب يونس ذنبا بالمعنى الحقيقي للذنب؟ وهل يذنب الأنبياء، الجواب أن الأنبياء معصومون، غير أن هذه العصمة لا تعني أنهم لا يرتكبون أشياء هي عند الله أمور تستوجب العتاب، المسألة نسبية إذن.

يقول العارفون بالله: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وهذا صحيح. فلننظر إلى فرار يونس من قريته الجاحدة المعاندة، لو صدر هذا التصرف من أي إنسان صالح غير يونس، لكان ذلك منه حسنة يثاب عليها. فهو قد فر بدينه من قوم مجرمين.

ولكن يونس نبي أرسله الله إليهم، والمفروض أن يبلغ عن الله ولا يعبأ بنهاية التبليغ أو ينتظر نتائج الدعوة، ليس عليه إلا البلاغ. خروجه من القرية إذن، في ميزان الأنبياء، أمر يستوجب تعليم الله تعالى له وعقابه.

إن الله يلقن يونس درسا في الدعوة إليه، ليدعو النبي إلى الله فقط، هذه حدود مهمته وليس عليه أن يتجاوزها ببصره أو قلبه ثم يحزن لأن قومه لا يؤمنون.

ولقد خرج يونس بغير إذن فانظر ماذا وقع لقومه، لقد آمنوا به بعد خروجه، ولو أنه مكث فيهم لأدرك ذلك وعرفه واطمأن قلبه وذهب غضبه، غير أنه كان متسرعا، وليس تسرعه هذا سوى فيض في رغبته أن يؤمن الناس، وإنما اندفع إلى الخروج كراهية لهم لعدم إيمانهم، فعاقبه الله وعلمه أن على النبي أن يدعو لله فحسب، والله يهدي من يشاء.

### قصة يونس في القرآن

حين غادر سيدنا يونس موطن قومه في نينوي بالعراق بدأت نقمة الله تظهر علي قومه ، فهلّت السُّحب السوداء، وغشيهم دخانها، واسودّت سطوحهم، فأيقن القوم أنّ عذاب الله –تعالى– آت لا مفرّ منه، فخافوا ووجلوا، وبحثوا عن يُونس عليه السلام؛ ليهدِيَهم طريقة التوبة والإنابة فلم يجدوه،

قوم سيدنا يونس لم يجدوا أمامهم إلي الذهاب إلي شيخ كبير حيث وجهوا له التساؤل عن كيفية تجاوز محنتهم فأرشدهم إلى طريق التوبة إلى الله تعالى، فجمعوا كبيرهم وصغيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وحيواناتهم جميعاً، ثمّ جعلوا على رءوسهم الرماد، ولبسوا المسوح من اللباس؛ تواضعاً لله سبحانه، ثمّ أقبلوا عليه في هذا الحال في مشهد عظيم، ضارعين له أن يصرف عنهم العَذاب، ويتوب عليهم، فتاب الله –تعالى– عليهم، وقبل إيمانهم بعد كلّ هذا الكفر والعناد،

سيدناَ يونس لم يشهد توبة قومه حيث غادرهم ولحق بقوم آخرين وركب معهم سفينتهم، فلمّا أن وصلت بهم جميعاً إلى عُرض البحر، تمايلت السفينة واضطربت واهتزّت، فلم يجدوا سبيلاً للخلاص إلى أن يلقوا بأحدهم في البحر؛ تخفيفاً للحمل، فاقترعوا على من يُلقي بنفسه في البحر.

### مكافأة المسبحين

الحالة التي كان يعاني منها سيدنا يونس جعلت الله يتكفل بتوفير وتهيئة البيئة المناسبة لرعايته مكافأه له علي حرصه علي تسبيح الله وشكره فالله تعالي لم يقل « لولا أن كان من المرسلين أو النبيين « بل قال المسبحين فالتسبيح وذكر الله في أيام الرخاء هي فقط من يوفر طوق النجاة للمسبحين وقت الضيق ويجعلهم قاقادرين بفضل الله قادرين علي تجاوز حالات الغم والهم والضيق مكافأة من الله للمسبحين.

# عقوبات المجاهرة بالافطار.. بين انتهاك قدسية الشهر والحرية الشخصية

جاء شهر رمضان المبارك هذا العام مختلفاً عن الأعوام السابقة؛ في غياب شبه تام للطقوس التعبدية والاجتماعية بسبب تفشي فيروس كورونا المستجد.

وأصبحت شوارع المدن الخليجية شبه فارغة من سكانها نتيجة حظر التجول الجزئي أو الشامل إلا في ساعات محددة، إلا أن بعض الأسئلة التي يفتتح بها الشهر الكريم سنوياً عادت رغم تغول موضوع «كورونا» على غيره من المواضيع.

ويدور على ألسنة كثيرين السؤال عن مدى المجاهرة بالإفطار في نهار شهر رمضان المبارك في دول الخليج العربي، وما هي العقوبة التي تسنها تلك الدول في حال مخالفة أحد الأشخاص لركن من أركان الإسلام؟. ويُطرح التساؤل سنوياً لما يحمله الأمر من خصوصية لدى عموم المسلمين، حيث يعتبره البعض جرحاً لمشاعر الصائمين وانتهاكاً لقداسة رمضان أعظم الشهور الهجرية، باعتباره شهر الصيام والقيام والقرآن، فيما يراه آخرون حرية شخصية. وبسبب حظر التجوال المنتشر بدول خليجية، والحجر المنزلي، فقد باتت هذه العقوبة نادرة الوقوع في تلك الدول وغيرها هذا العام، لكنها قد تسجل حالات مع بدء تخفيف قيود الحركة.

وتسن دول الخليج عقوبات مختلفة لمن يجاهر بالإفطار في نهار رمضان من قبل المواطنين أو المقيمين في الدولة، وهي لم تتغير في ظل تفشي فيروس كورونا المستجد بكل دول مجلس التعاون.

### السعودية

ففي السعودية تلاحق هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المفطرين في رمضان، وتتلقى المحاكم كل سنة عشرات القضايا في هذا السياق. وتصل العقوبة عادة بحق المجاهرين بالإفطار إلى السجن والجلد (الجلد ألغي مؤخراً في المملكة)، إضافة إلى عقوبة الإبعاد من الأراضي السعودية إذا كان الفاعل أجنبياً.

ورغم وجود تغيرات في القوانين المشابهة بالمملكة خلال السنوات الثلاث الأخيرة فإنه لم يصدر أي تعديل على تجريم الإفطار في نهار رمضان بالسعودية.

القانون البحريني يجرم الإفطار العلني أيضاً، ويعتبره جنحة عقوبتها قد تزيد عن سجن لثلاثة أشهر، ويخول مأموري الضبط القضائي بتوقيف من يجاهر بالإفطار في نهار رمضان، ولا يفرق بين المقيم والزائر والمسلم و غيره.

### قطر

وفي قطر كذلك تنص المادة 267 من القانون الرقم 11 لسنة 2004 على تجريم الأكل علناً في نهار رمضان، وتعاقب المخالف بالحبس لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وبغرامة لا تزيد عن ثلاثة آلاف ريال (853 دولاراً)، أو بإحدى هاتين العقوبتين. ولا يفرق القانون القطري بين المسلم وغير المسلم في حال جاهر بإفطاره بنهار رمضان.

### الكويت

الكويت ذكرت سكانها مؤخراً بضرورة احترام الشهر الكريم، حيث طالبت وزارة الداخلية المواطنين والمقيمين بالحفاظ على القيم والعادات واحترام مشاعر الصائمين بعدم المجاهرة بالإفطار.

وقالت الإدارة العامة للعلاقات والإعلام الأمني بالوزارة، في 25 أبريل 2020: «أجاز القانون رقم (44/1968) معاقبة الجهر بالإفطار بالحبس مدة لا تتجاوز الشهر وبغرامة مالية لا تتجاوز الـ100 دينار (322 دولاراً) أو بإحدى هاتين العقوبتين.» وأشارت إلى أن غرف العمليات تتلقى على مدار الساعة جميع البلاغات على هاتف الطوارئ (112)، داعية الجميع لدعم جهود الأجهزة الأمنية.

### الإمارات العربية المتحدة

دولة الإمارات لم يكن بها القانون مختلفاً؛ فقد «تصل عقوبة المجاهرة بالإفطار إلى الحبس مدة لا تزيد عن شهر أو بالغرامة التي لا تتجاوز ألفي درهم (544 دولاراً)، وذلك وفق قانون العقوبات الاتحادي رقم 3 لسنة 1978» وتنص المادة 313 من قانون العقوبات على أن العقوبة تشمل إلى جانب المجاهر كل من أجبر أو حرض أو ساعد على تلك المجاهرة، ويجوز إغلاق المحل العام الذي يستخدم لهذا الغرض مدة لا تتجاوز شهراً».

وينص القانون في مادته رقم 314 على «أن وزير الداخلية له الحق في إغلاق ما يراه من محال في نهار رمضان منعاً للمجاهرة بالإفطار، وذلك بالتنسيق مع البلديات المختصة، ويعاقب المسؤول عن إدارة المحل إذا خالف القرار بالعقوبة السابقة؛ أي الحبس شهراً أو الغرامة ألفي درهم».

### سلطنة عمان

أما في سلطنة عُمان فقد نصت المادة 277 من قانون الجزاء العُماني، الصادر بالمرسوم السلطاني 7/2018، في الفصل الأول «الجرائم التي تمس الدين» من الباب الثامن: «يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن 10 أيام، ولا تزيد على 3 أشهر، كل من جاهر في مكان عام بتناول الأطعمة أو المشروبات أو غير ذلك من المواد المفطرة في نهار رمضان».

### الإفطار خوفاً من كورونا

وقد طُرح التساؤل مبكراً حول إمكانية الصيام في ظل تفشي فيروس كورونا في أنحاء العالم للأشخاص غير المصابين خشية انخفاض المناعة لديهم وإمكانية إصابتهم بالفيروس. فقد قال المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في بيان مطول على موقعه الإلكتروني (نُشر بـ13 أبريل الجاري)، بعد أن قام باستشارة عدد من الأطباء والخبراء، إن الفرضية التي تقول بأن عدم شرب المياه يزيد من فرص تعريض الصائم لوباء كورونا «غير صحيحة وليس لها أي دليل علمي تستند إليه».

وأكد أنه «بالعكس، العديد من الدراسات العلمية أثبتت أن للصوم فوائد صحية عديدة؛ كتقوية المناعة الذاتية للجسم لدرء الأوبئة».

ولفت المجلس إلى أنه «في حال كان الصائم مصاباً بفيروس كورونا فعليه أن يفطر ويتناول الدواء لأنه معني بالرخصة الشرعية، وعليه القضاء أو تقديم فدية بحسب حاله، لكن إذا عوفي منه فيجب عليه الصيام».

من ناحيتها أعلنت لجنة البحوث الفقهية بالجامع الأزهر بمصر أنه «لا يتوفر لغاية الآن أي دليل علمي يؤكد وجود علاقة بين الإصابة بفيروس كورونا والصوم خلال شهر رمضان». مضيفة: «وعلى ذلك تبقى أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالصوم على ما هي عليه من وجوب الصوم على كافة المسلمين، إلا من رخص لهم في الإفطار شرعاً من أصحاب الأعذار» .

## فتاوى

### كيف يكون إفطار الصائم في الجو؟

الإفتاء: الصائم يفطر في الجو عندما تغيب الشمس عنده وفي النقطة التي هو فيها، ولا يفطر بتوقيت بلده أو البلد الذي يمر عليه، بل عند غروب الشمس بكامل قرصها في عينه هو، فإذا شق عليه ذلك فليفطر؛ للمشقة الزائدة المركبة في السفر، وليس لانتهاء اليوم.

فلو أفطر حينئذ فإنه يكون عليه أن يقضي يومًا مكّان ما أفطر، وما يقوله قادة الطائرات من الإفطار على ميقات البلد الأصلي أو البلد الحالي دون مراعاة غياب الشمس أمامهم غير صحيح شرعًا.

وهناك حالة تغيب فيها الشمس، ثم تخرج مرة أخرى من جهة المغرب لسرعة الطائرة، وهنا يُفطر الصائم ولا يلتفت لردِّها وعودتها.